الحِّجاج التّداولي، إعجاز القرآن للباقلاني أنموذجاً

The pragmatic argument, the Qur'an miracle of the Baqlani as an example

د. شـــــــداد محمّد*
جامعة ابن خلدون بتيارت (الجزائر)
cheddadmohamed14@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/05/03 تاريخ القبول: 2020/11/06 تاريخ النّشر: 2020/12/01

ملخّـــص

نظراً لأنّ الغاية من كلّ خطاب هي جعل المتلقّي يذعن إلي ما يُلقى إليه من خطاب، فإنّ الحِجاج Argument يعدّ من أهمّ الاستراتيجيات المساعدة على تحقيق ذلك، خاصّة بما يمتلكه من آليات ووسائل تساعد المخاطب على تحقيق الغاية المنشودة من إنتاج خطابه. تبعا لهذا عدّ مبحث الحِجاج من أهمّ المباحث استقطابا للدّارستن مهما اختلفت مسالكهم وتنوّعت مشاربهم، الأمر الذي وسّع نطاق البحث في الحِجاج وكشف علاقاته بحقول معرفيّة أخرى خاصّة التّداولية Pragmatic التي تعنى أساسا بدراسة اللّغة أثناء الاستعمال أي أثناء التّواصل.

الكلمات المفتاحية: حجاج؛ تداوليّة؛ بلاغة؛ إعجاز؛ إقناع؛ أفعال الكلام.

Abstract

The purpose of each speech is to make the recipient be affected by it and acknowledge its content, either acceptance or rejection. Perhaps the pilgrims are among the strategies the speaker uses to make his speech convincing. Also, deliberative is one of the knowledge fields that bear the same goal, so we have what is called: the deliberative pilgrims, and accordingly our attention will be focused, relying on the miraculousness of the Qur'an to Baqlani as an example.

Key words: Argument; Pragmatic; Rhetoric; Miracle; Persuade; Acts speech.

* المولّف المرسِـــل

مقدمـــــــــة:

إنّ الغاية من كلّ خطاب هي جعل المتلقّي يذعن إلى ما يلقى إليه من خطاب، من خلال استخدام مجموعة من الآليات والاستراتيجيات والوسائل الحجاجيّة، هذا وقد تنوّعت دراسات الحّجاج من اللّغوية إلى المنطقيّة إلى التّداوليّة، وعليه ارتأيت أن أركّز على الحّجاج التّداولي مسلّطا الضّوء على خصائصه ومقوّماته من خلال المدوّنة المختارة. وإذا كانت النّظريّة التّداولية تعنى أساساً بدراسة الخطاب أثناء التّواصل فلا غرو أن يشكّل الحّجاج جزءا كبيراً من ذلك الاهتمام. تبعا لذاك فإنّ إشكاليّة البحث هي كالتالي: ما هي خصائص واستراتيجيات الحّجاج التّداولي في كتاب إعجاز القرآن للباقلاني؟ ومن جملة الفرضيات أنّ هناك تواشجاً كبيراً بين الحجاج والتّداوليّة، بل يمكن عدّ الحجاج من مرتكزات النّظريّة التّداوليّة، كما نفترض أن ينطوي كتاب إعجاز القرآن للباقلاني على خصائص وآليات الحجاج التّداولي. أمّا فيما يخصّ منهجيّة البحث فقد تراوحت وفق التّالي: توضيح بعض المفاهيم والآليات والوسائل المرتبطة بالحّجاج ثمّ الشّروع في تقصّي أبعاد الحّجاج التّداولي في كتاب إعجاز القرآن للباقلاني. أمّا عن أهداف البحث فتكمن أساساً في استقراء مدوّنة من تراثنا ومقاربتها في ضوء ما انتهت إليه النّظريّة التّداوليّة ونظريات الحجاج من آليات واستراتيجيات ووسائل. ومن الأهداف أيضا إحياء تراثنا البلاغي ودراسته في ضوء المناهج والنّظريات النّقدية الحديثة.

1. الحَجـــــاج:

1.1 لغـــــــة:

يرى «ابن منظور» في مادّة (حجج) أنّ «الحجّة: البرهان، وقيل الحجّة ما دُوفِعَ به الخصم، وقال الأزهري: الحجّة الوجه الذي يكون به الظّفر عند الخصومة. وهو رجل محجاج أي جدل. والتّحاجّ: التّخاصُم، وجمع الحجّة: حُجج وحِجاج. وحاجّهُ محاجّةً وحجاجا: نازعه الحجّة. وحجّه يحجّه حجّاً: غلبه على حجّته. وفي الحديث: فحجّ آدم موسى أي غلبه بالحجّة. واحتجّ بالشّيء: اتّخذه حجّة. قال الأزهريّ: إنّما سمّيت حجّة لأنّها تحجّ أي تُقصد لأنّ القصد لها وإليها.»[1] لقد اشتمل هذا التّعريف اللّغوي للحجاج على أبعاد تداوليّة، كالقصد لأنّ المتكلّم يتوخى من خلال محاججة خصمه إلى جعله يذعن لما يلقى إليه، كما يعدّ هذا التّفاعل بين الذّوات المتحاجة بعدا تداوليّا آخر. أمّا في الثقافة الغربية «فقد أُخذت كلمة حجّة - Argument من الفعل اللاتيني Arguere وتعني جعل الشّيء واضحا ولامعا وظاهرا، وهي بدورها من جذر إغريقي argues ويعني أبيض لامعا.»[2]

2.1 اصطلاحـــا:

تذهب معظم التّعاريف الاصطلاحيّة للحّجاج إلى أنّه عبارة عن علاقة تخاطبيّة بين المتكلّم والمستمع حول قضيّة ما، متكلّم يدعّم قوله بالحجج والبراهين لإقناع الغير والمستمع له حقّ الاعتراض عليه إن لم يقتنع، ولذلك يعرّف (طه عبد الرحمن) الحّجاج على أنّه «كلّ منطوق به موجّه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحقّ له الاعتراض عليها.»[3] ويتوسّع هذا الكاتب أكثر في مفهوم الحجاج من خلال كتابه 'في أصول الحوار وتجديد علم الكلام'، وذلك من خلال مقارنته بالبرهان حيث أعطى للحجاج صفتين رئيستين «فهو تداولي لأنّ طابعه الفكريّ مقامي واجتماعي إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخباريّة وتوجّهات ظرفيّة، ويهدف إلى الاشتراك جماعيّاً في إنشاء معرفة عمليّة إنشاءً موجّها بقدر الحاجة.»[4] فالصّفة التداوليّة للحّجاج تمنح الفرصة للجميع في الاشتراك فيه دون استثناء ومن أي مستوى على عكس البرهان الذي يتّصف بالقواعد وتمايز في المستويات. وغاية الحجاج من كلّ هذا إذعان العقول لما يطرح عليها.

أمّا الصّفة الثانيّة للحّجاج فهي كونه «جدليّ إقناعيّ قائم بلوغه على التزام صور استدلاليّة أوسع وأغنى من البنيات البرهانيّة الضيّقة، كأن تبنى الانتقالات فيه لا على صور القضايا وحدها كما هو شأن البرهان، بل على هذه الصّور مجتمعة على مضامينها أيّما اجتماع وأن يطوى في هذه الانتقالات الكثير من المقدّمات والكثير من النتائج.»[5] فمن خلال هذه الصّفات نجد أنّ الحّجاج أوسع من البرهان ذلك أنّ البرهان منحصر في قواعد معروفة، فهو كآلة تعيد فقط هذه القواعد، على عكس الحّجاج الذي يتّسم ببنيات واسعة ويتيح مقدّمات كثيرة للحصول على نتائج كثيرة.

إنّ هدف الحّجاج هو هدف إقناعيّ Persuade كما قال (طه عبد الرحمن) سابقاً، وهو الهدف الذي ذهب إليه (عبد الهادي بن ظافر الشهري) حيث عرّف الحجاج بربطه بالإقناع فيقول: «الحّجاج هو الآلية الأبرز التي يستعمل المرسل اللّغة فيها وتتجسّد عبرها استراتيجيّة الإقناع.»[6] فليس هناك مرسل يرسل خطابه جزافاً إلّا ومن ورائه هدف معيّن وهو الاستمالة والتأثير عن طريق الحجج اللّغويّة وحتّى غير اللّغويّة كالإشارات والإيماءات.

أمّا (فيليب بروتون) فهو بدوره يرى أنّ الحّجاج Argument عمليّة تواصل مع الآخر من أجل التأثير وهذا التأثير ينتج من خلال استعمال وسائل مختلفة وذلك في قوله: «الحّجاج وسيلة قويّة يهدف إلى تقسيم وجهة النظر مع الغير، مستبعداً ممارسة العنف المقنع مستعيناً بالإغواء أو البرهنة العلميّة.»[7]

نلمح من خلال هذه التعاريف أنّ الحجاج أساساً يعتمد على مرسل ومرسل إليه حيث إنّ الدّور الكبير في هذه العمليّة يعود إلى المرسل نظراً لما يبذله من جهود ذهنيّة للحصول على جهود مقنعة وعلى المرسل أن يكون بارعاً في اختياره لهذه الحجج نظراً لتفاوتها في درجات الإقناع.

2. أنواع الحجـــاج:

يعرض (طه عبد الرحمن) في كتابه: «اللّسان والميزان أو التكوثر العقليّ» ثلاثة أنواع من الحجاج؛ الحّجاج التجريدي والحّجاج التّوجيهي والحّجاج التّقويمي.

1.2 الحجاج التجريديّ Abstract argument:

هذا النّوع من الحّجاج يهتمّ فقط بالشّكل دون المضمون حيث يعتني بالعبارات دون الاهتمام بمضامينها ومقاماتها، وعليه «فالمقصود بالحجاج التجريدي هو الإتيان بالدّليل على طريقة أهل البرهان، علماً أنّ البرهان هو الاستدلال الذي يعنى بترتّب صور العبارات بعضها على بعض، بصرف النّظر عن مضامينها واستعمالاتها.»[8] فالحّجاج التّجريديّ هنا على حسب (طه عبد الرحمن) مجرّد من صفة التداوليّة التي ذكرناها سابقاً ويذهب مجرى البرهان.

2.2 الحجاج التّوجيهيّ Guiding argument:

هذا النّوع من الحّجاج يهتمّ فقط بالمخاطِب وانشغاله بإيصال رسالته إلى المخاطَب دون الاهتمام بردّة فعل المخاطَب ورأيه. «فالمقصود بالحجاج التّوجيهيّ هو إقامة الدّليل على الدّعوى بالبناء على فعل التّوجيه الذي يختصّ به المستدلّ لحجّته إلى غيره فقد ينشغل المستدلّ بأقواله من حيث إلقاؤها لها ولا ينشغل بنفس المقدار بتلقي المخاطَب لها وردّ فعله عليها، فتجده يولي أقصى عنايته إلى قصوده وأفعاله المصاحبة لأقواله الخاصّة، غير أنّ قصر اهتمامه على هذه القصود والأفعال الذاتيّة يفضي به إلى تناسي الجانب العلائقي من الاستدلال، هذا الجانب الذي يصله بالمخاطَب ويجعل هذا الأخير متمتّعاً بحق الاعتراض.»[9] وعلى عكس هذا النّوع من الحّجاج هناك نوع آخر يهتمّ بالمخاطَب ورأيه وهو الحّجاج التّقويميّ.

3.2 الحّجاج التّقويمي Evaluative argument:

هذا النّوع من الحّجاج لا يتوقّف في حدود المخاطِب وخطابه فقط، بل يهتمّ أيضاً بردّة فعل المخاطَب «فالمقصود بالحجاج التّقويمي هو إثبات الدّعوى بالاستناد إلى قدرة المستدلّ على أن يجرّد من نفسه ذاتا ثانية ينزّلها منزلة المعترض على دعواه، فهاهنا لا يكتفي المستدلّ بالنّظر في فعل إلقاء الحجّة إلى المخاطَب واقفا عند حدود

ما يوجب عليه من ضوابط وما يقتضيه من شرائط، بل يتعدّى ذلك إلى النّظر في فعل التلقّي باعتباره هو نفسه أوّل متلقٍّ لما يلقي فيبني أدلّته أيضاً على مقتضى ما يتعيّن من المستدلّ له أن يقوم به المخاطَب بها.»[10] مستبقاً استفساراته واعتراضاته ومستحضرا مختلف الأجوبة عليها ومستكشفا إمكانات تقبلّها واقتناع ويبدو أنّ «طه عبد الرّحمن» في هذا النّوع من الحجاج قد أعاد الاعتبار للمتلقّي ودوره الفعّال في العمليّة الحجاجيّة نظرا لما يثيره من اعتراضات على قول المرسل، حيث إنّه إذا اكتفى الحجاج بأقوال المدّعي فقط دون اعتراضات المتلقّي لن يكون هناك نزاع بين الطّرفين وبالتّالي يفقد الحجاج قوّته. ومن أجل ذلك يمكن أن نقول: إنّ الحجاج التّقويمي هو أفضل أنواع الحجاج نظرا لما يتوفّر عليه من عناصر وشروط تتطلّبها العملية الحجاجيّة.

3. تقنيات ووسائل الحجاج:

أمّا تقنيات الحّجاج فيقسّمها «بيرلمان وزميله تيتيكاه» إلى فئتين، هذا التّقسيم يخصّ تقنيات الحّجاج اللّغويّة، متمثّلة في تقنية طرق الوصل وتقنيات طرق الفصل «ويقصد بالأولى ما يتمّ به فهم الخطط التي تقرّب بين العناصر المتباعدة في الأصل لتمنح فرصة توحيدها من أجل تنظيمها، وكذلك تقويم كل منها بوساطة الأخرى سلبا وإيجابا، وتقنيات الفصل هي التي تكون غايتها توزيع العناصر التي تعدّ كلّا واحدا أو على الأقلّ مجموعة متّحدة ضمن بعض الأنظمة الفكريّة أو فصلها أو تفكيكها.»[11]

ويمكن تقسيم تقنيات الحّجاج إلى:

- «**الأدوات اللّغويّة الصّرفة:** من ألفاظ التعليل بما فيها الوصل النسبيّ والتركيب الشرطيّ وكذلك الأفعال اللّغويّة والحجاج بالتبادل والوصف وتحصيل الحاصل.

- **الآليات البلاغيّة:** مثل تقسيم الكلّ إلى أجزائه، والاستعارة، البديع، التّمثيل.

- **الآليات شبه المنطقيّة:** ويجسّدها السلّم الحجاجي بأدواته وآلياته اللّغويّة، ويندرج ضمنه كثير منها مثل الروابط الحجاجيّة: لكن، بل، حتى، فضلا، عن، ليس، كذا، فحسب، أدوات التّوكيد ودرجات التّوكيد والإحصاءات، وبعض الآليات التي منها الصّيغ الصّرفيّة مثل التّعدية بأفعال التّفضيل والقياس وصيغ المبالغة.»[12]

أمّا بالنّظر إلى استراتيجيّة الحّجاج وهي الإقناع Persuade التي يعتمدها في قيامه، وتكون هدفاً لممارسته من قبل المتكلّم، فإنّ الوسائل والتقنيات التي تقع تحت استراتيجيّة الإقناع هي:

1. **الوسائل اللّسانيّة:** ونقصد بها أدوات الاتّساق والترابط والانسجام.

وقد تستعمل أدوات الاتساق استعمالاً حجاجيّاً ومن أهمّها:

أ- **الإحالة Referral:** وتكمن حجاجيتها في «أنّ العناصر المُحيلة كيفما كان نوعها لا تكتفي بذاتها من حيث التأويل، إذ لا بدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها.»[13] وهي تنقسم إلى نوعين؛ إحالة مقاميّة، وإحالة نصيّة، وتنقسم الإحالة النّصيّة إلى قبليّة وبعديّة.

بهذا تؤخذ الإحالة بنوعيها كوسيلة لسانيّة للحّجـــــــــاج تؤثّر على المستمع لعلمه العقليّ في إيجاد الشيء المحال له وأدوات الإحالة، ولإيجاد معناها يجب مراعاة ما تسند إليه.

ب- **الحذف Deletion:** يمثّل علاقة داخل النّص، تكمن حجاجيّته في جعل القارئ يملأ هذا الفراغ بالاعتماد على ما ورد في الجملة الأولى أو استنادا لما سبق.

ت- **الوصل Arrive:** «هو تحديد الطّريقة التي يترابط بها اللّاحق مع السّابق بشكل منظّم»[14]، ويمكن أن تسخر أدوات الرّبط خدمة لهذا الوصل بكلّ أنواعه: الوصل الإضافي، العكسي، السّببي، والزّمني.

ث- **التّكرار Repetition:** هو «شكل من أشكال الاتّساق المعجمي يتطلّب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصراً مطلقاً أو اسماً عامّاً.»[15]

وتكمن حجاجيّة التّكرار في إعادة اللّفظ أو معناه، فهو بقدر ما يؤكّد المعنى تعدّ له هذه الوظيفة حجاجيّة.

2. الوسائل الأصوليّة والفلسفيّة:

أ- **القياس Analogy:** وقد سمّاه «طه عبد الرّحمن» بالاستدلال الكلامي في كتابه «في أصول الحوار وتجديد علم الكلام» وهو ما يعرف بالقياس والمماثلة، ويعتبر أبرز وسيلة حجاجيّة استوحاها الخطاب الحجاجي من الأصوليين والفلاسفة.

فالقياس «فعاليّة استدلاليّة خطابيّة.» [16] ونفهم من هذا أنّ القياس يؤثر به كوسيلة حجاجيّة في الخطاب ليكون أكثر نجاعة وإقناعـــاً علماً أنّ هذا القياس أنواع؛ القياس البياني، المماثلة أو القياس العرفاني، القياس البرهاني.

ب- **التّمثيل Simile:** وفيه تعقد «الصّلة بين صورتين ليكتمل المرسل من الاحتجاج وبيان حججه.»[17] ومن هنا يتقاطع القياس مع التّشبيه في العناصر، ويظهر هذا في كون القياس «إظهار لوجود الشّبه بين الشّيئين.»[18]

ج- **الاستعارة Metaphor:** لقد اهتم بيرلمان كذلك بالاستعارة ودورها الفعّال في الحجاج، حيث وصف الاستعارة من ناحية الحجاج أي الاستعارة الحجاجيّة على أنّها «تمثيل تكثّف ناتج عن الانصهار والاندماج الحاصل بين أحد عناصر الحامل، وأحد عناصر الموضوع.»[19] وهذا يعني أنّ الاستعارة تنحدر من التّمثيل.

4. الحجاج في الدّراسات اللّسانيّة الغربية الحديثة:

لقدّ اختلفت مسارات التّحليل الحّجاجي في الدّرس اللّساني الغربي وتنوّعت، وفي هذا الشّأن نميّز:

أ. التّحليل الحّجاجي المنطقي:

حيث أعاد «شاييم بيرلمان Chaime perelman «و»ألبريخ تتيتيكا- Olbre-chts-Tyteca» على خطى أرسطو صياغة نموذج منطقي للحجاج في ضوء مؤلّفهما: الخطابة الجديدة La nouvelle rhétorique المنشور سنة 1970م، إذ عدّ مجدّدا للبلاغة في أوروبا مع مطلع النّصف الثّاني من القرن العشرين، بعد فترة ركود طويلة، إلا أنّ منتوجه العلميّ هذا، لم يستطع التّخلص من سيطرة وهيمنة المنطق الأرسطي.

فمن المعلوم أنّ «أرسطو» قد أرسى معالم البلاغة الحّجاجيّة منذ القديم من خلال مصنّفه «الخطابة» إلّا أنّ مسار الدّرس البلاغي الحّجاجي بعده انحرف «ليوجّه إلى العناية بالصّياغة والبحث في المحسّنات اللّفظية، أي التّركيز على الطّابع الجمالي على حساب الجانب الحّجاجي.»[20] حيث يعدّ كتابه محاولة للعودة إلى الأصل، حيث كانت البلاغة حجاجيّة، أي معقوليّة وحريّة وحوار بغية بناء توافق بين الأطراف المتحاورة ومن أجل حصول التّسليم برأي آخر بعيد عن الاعتباطية، «وحيث كانت المزيّنات الجمالية مجرّد روادف لغوية ودعامات تسعى إلى بعث الإقناع والفعل لا إلى الاستمتاع الجمالي غير العابئ بالتّأثير وتعديل الرّأي والسّلوك.»[21] من هنا نلفي أنّ المقصود بالبلاغة الجديدة أنّها «نظريّة عامّة للمحاججة بكلّ أشكالها (الشّرعيّة والسّياسيّة والأخلاقيّة والجماليّة والفلسفيّة).»[22] هذا وقد جدّد كل من «بيرلمان وتيتيكا» آراء (أرسطو) حينما حاولا أن يعيدا إليها طابعها الفلسفي الحقيقي.

ومن أهمّ ما جادت به البلاغة الجديدة أيضا عدّها الإقناع الوظيفة الأساسيّة للبلاغة وليس التّأثير، وفي هذا السّياق يشير «بيرلمان» إلى أنّ «القصد بالحّجاج المؤثّر ذلك المتوجّه إلى مستمع خاص، وبالإقناعي المصوّب نحو كائن عاقل. فالفرق دقيق ورهين بمفهوم الخطيب للعقل أساسا.»[23] وقد تبلورت هذه الرؤية أيضا مع «ستيفان تولمان - Stephen Toulmin» في كتابه: «استعمالات الدّليل أو الحجّة - Les usages de

l'argumentation» الذي قارب فيه نظريّة الحّجاج من منظور منطقيّ، إذ حاول بناء نماذج نظريّة تنطلق من مقدّمات وتصوّرات معيّنة، فكان عمله هذا «أقرب إلى صناعة البرهان في المنطق حيث يقصد بالبرهان إثبات الحق لا لإقناع الغير به.»[24] وهذا أهمّ فرق بينه وبين (بيرلمان) الذي كان يهدف إلى إقناع المستمع، ولعلّ هذين الأمرين عجّلا ببروز المقاربة اللّسانية للحجاج التي أثمرت نظرية الحّجاج في اللّغة.

ب. التّحليل الحّجاجي اللساني (ديكرو– أنسكونبر):

انبثقت نظرية الحّجاج في اللّغة من نظريّة الأفعال اللّغوية التي بنى صرحها الفيلسوف اللّغوي «جون لانجشو أوستين - Jhon Lanshaw Austin» ضمن مؤلفه: كيف نصنع الأشياء بالكلمات؟ وهو كما أسلفنا الذّكر، عبارة عن مجموعة من المحاضرات التي ألقاها في جامعة هارفارد سنة 1955م، ثم جاء تلميذه «سيرل -Searle» وواصل على خطى أستاذه بناء مشروعهما (التّداوليـــــة). وعلى هديهما قام «ديكرو -Ducrot» بتطوير أفكار هذه النّظرية مقترحا إضافة فعلين لغويّين آخرين هما: «فعل الاقتضاء وفعل الحّجاج.»[25] ومن صلب هذا الأخير انبثقت نظريّة الحّجاج في اللّغة، فما الفعل الحّجاجي إلّا نوعـــا من الأفعال الإنجازيّة التي يحقّقها الفعل التلفّظي في بعـــده الغرضيّ.

هذا وتجدر الإشـــــــــارة إلى أنّ «ديكرو -Ducrot» ألّف بمعيّة «أنسكومبر -Anscombre» كتابا بعنوان: الحّجاج في اللّغة - L'argumentation dans la langue أسّسا في ضوئه مفهوما جديدا للحجاج يختلف عن مفهوم (بيرلمان وتيتيكا) ويقوم أساسا على اللّغة، بخلاف مفهوم (بيرلمان) القائم على تقنيات وأساليب في الخطاب، تكون شبه منطقيّة، أو شكليّة أو رياضيّة.

فالحّجاج عندهما يكمن في اللّغة وليس فيما يتأسّس عليه الخطاب من منطق رياضي أو شكلي أو صوري، خلافا لما هو عند «بيرلمان و تيتيكا»، كما يريان أنّ «لكثير من الأفعال القولية وظيفة حجاجيّة تتمظهر في بنية الجمل، وتحمل الجمل مؤشرات تحدّد قيمتها التّداولية داخل البنية التّركيبية باستقلال عن المحتوى الإخباري.»[26] فهما يؤكّدان أنّ أي خطاب له وظيفة حجاجيّة، فالحّجاج عندهما يتمثّل في «تحقيق عملين اثنين هما فعل التّصريح بالحجّة من جهة، وفعل النّتيجة من جهة أخرى، سواء أكانت هذه النّتيجة مصرّحا بها أو مفهومة من طرف ق1*.»[27] علما أنّ (ق1) تمثل حجّة ينبغي أن تؤدي إلى ظهور (ق2) ويكون (ق2) هذا قولا صريحا أو ضمنيّا.

إنّ الحّجاج عند «ديكرو» قائم على تقديم الطّرف المحاجج جملة من الأقوال

تمثّل مجموعة حجج تفضي إلى نتيجة معيّنة يفهمها المخاطَب تصريحا أو تلميحا، وهذه الأقوال تتدرّج في حجيّتها في إطار ما يسمّيه «ديكرو» بالسّلم الحّجاجي، إذ إنّ الرّابط بين هذه الأقوال هو اللّغة نفسها وما تحمله من خصائص، ولا وجود للروابط المنطقية، وفي هذا الصّدد يرى «شكري المبخوت» «أنّ ترابط الأقوال لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقي، وإنّما هو ترابط حجاجي، لأنّه مسجّل في أبنية اللّغة بصفته علاقات توجّه القول وجهة دون أخرى وتفرض ربطه بقول دون آخر، فموضوع الحّجاج في اللّغة، هو بيان ما يتضمّنه القول من قوّة حجاجية تمثّل مكوّنا أساسيّا لا ينفصل عن معناه يجعل المتكلّم في اللّحظة التي يتكلم فيها يوجّه قوله وجهة حجاجيّة ما.»[28] فالحّجاج اللّغوي من خلال مفاهيمها عبارة عن خطاب مُبَنْيَن من طرف المتكلّم، مشروط بطرح مجموعة من الحجج متعلّقة بمجموعة من القضايا تؤدّي في الأخير إلى التّسليم بالنّتائج المتوصّل إليها.

ت. التّحليل الحّجاجي التّداولي:

في إطار تحديد خصائص التّحليل الحّجاجي التّداولي يتبادر إلى الذّهن سؤال حول مناط المقاربة الحّجاجية التّداوليّة، هل نلتمسها في اللّسانيات أم في البلاغة أم في الأسلوبيّة أم في مباحث وحقول معرفيّة أخرى؟

هذه المقاربة الحّجاجيّة L'approche argumentative تركّز اهتمامها على الجانب التّداولي في الخطاب بمختلف «صوره البنائيّة والكلاميّة وخضوعه لشروط القول والتّلقي والمقام والرّغبة في التّأثير والفعل...الخ.»[29] إذ إنّ لفظ التّداولية يبعث على «استحضار نظريّة أفعال الكلام في الخطاب ورصدها فيه بغرض إقناع المخاطَب، على الرّغم من اختلاف الأبعاد التّداولية التي تتيح توجيه الخطاب الحّجاجي والإجابة عن التساؤلات والإشكاليات التي تحيط بالعمليّة التخاطبيّة والحّجاجيّة.»[30] وهذا ما يؤكّد انتماء هذه المقاربة إلى المجال التّداولي، «حيث إنّ هذا المجال يضع من أولوياته الإجابة على عدّة أسئلة حجاجيّة مهمّة مثل: من يتكلّم؟ وإلى من يتكلّم؟ وماذا نقول بالضّبط حين نتكلّم؟ وكيف نتكلّم بشيء ونريد قول شيء آخر؟.»[31] فهذه الأسئلة وأخرى، تتطلّب استحضارا جيّدا لأفعال اللّغة ومقاصد المتكلّم وظروف المقام...الخ.

هذا ويعتبر الحّجاج من أبرز الآليات التّداولية التي ينبغي على المتكلّم أن يتسلّح بها نظرا لأهمّيتها البالغة وضرورتها التّواصلية في مختلف السّياقات والاستعمالات الكلامية، «إذ قد تعتري المرسل بعض المواقف التي يحتاج فيها حتما - بجانب التّواصل- إلى إثبات فكرة أو الدّفاع عن رأي أو إقناع طرف بشيء ما، وقد لا يكون ذلك ممكنا إلّا بوسائل لغويّة ذات طابع حجاجي تدفع بالمتلقي إلى الاستجابة لما يصبو المرسل إلى

تحقيقه بناء على ما يقدّمه من أدلّة عقلية وبراهين منطقية.»[32] وهو ما سنبيّنه في خضمّ هذا البحث من خلال دراسة جوانب الحّجاج التّداولية كالإقناع، والإمتاع، والإبلاغ وكذلك آليات الحّجاج ووسائله المنتجة لهذه الخصائص في ضوء إعجاز القرآن. غير أنّ ما يجب أن نؤكّده في سياق تعدّد وتنوّع المقاربة الحّجاجية للخطاب، من التّحليل المنطقي إلى التّحليل اللّغوي إلى التّداولي، أنّ أكثر ما يشغلنا في هذه الدّراسة هو التّحليل التّداولي. وعلى ضوء التّحليل الحجاجي التّداولي سيتركّز اهتمامنا في هذه الورقة البحثية بغية تقصي أبعاده في كتاب إعجاز القرآن لصاحبه (الباقلاني).

5. الحجاج التّداولي في كتاب إعجاز القرآن:

يعدّ مؤلّف إعجاز القرآن لصاحبه «الباقلّاني» ثروة علميّة وأدبيّة وبلاغيّة تدرّ على خائضها بزاد غزير، ووجوه إعجاز القرآن عند «الباقلاني» ثلاثة: [33]

الوجه الأوّل: يتضمّن الإخبار عن الغيوب، وذلك ممّا لا يقدر عليه البشر، ولا سبيل لهم إليه.

الوجه الثّاني: أنّه كان معلوما من حال النّبي محمّد صلّى الله عليه وسلّم، أنّه كان أمّيا لا يكتب ولا يقرأ.

الوجه الثّالث: أنّه بديع النّظم، عجيب التّأليف، متناهٍ في البلاغة إلى الحدّ الذي يُعلم عجز الخلق عنه.

وعلى أساس الوجه الأخير ستتركّز دراستنا لكتاب إعجاز القرآن للباقلّاني في ضوء التّحليل الحجاجي التّداولي مع استشراف أبعاده التّداوليّة. وتجدر الإشارة إلى أنّ دراسة «الباقلّاني» للوجه الثّالث شملت تحليلا موسّعا نابعا من عمق ثقافته وعظيم تخصّصه العلميّ، حيث أرجأ بديع نظم القرآن إلى مجموعة عوامل تترابط فيما بينها جزئيات الموضوع، وفصّلها في عشرة وجوه، تعود كلّها إلى بديع نظمه، وعجيب تأليفه، وتناهيه في البلاغة: [34]

الوجـــــه الأوّل:

ما يرجع إلى الجملة، وذلك «أنّ نظم القرآن على تصرّف وجوهه، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختصّ به، ويتميّز في أساليب الكلام المعتاد.»[35] وتفسير ذلك أنّ انفراد نظم القرآن بخصائص وميزات لا تتسنى لمخلوق، يعدّ ذلك حجّة سببها خصائص النّظم المتميّزة والفريدة، ونتيجتها إعجاز العرب على الإتيان بمثله. كما يمكن أن نتّخذها حجّة سببها إعجاز العرب على الإتيان بمثله نتيجتها التّأثّر الشّديد به.

ثمّ يتحدّث «الباقلاني» عن تأليف الألفاظ مع بعضها البعض «ذلك أنّ الطّرق التي يتقيّد بها الكلام البديع المنظوم، تنقسم إلى أعاريض الشّعر على اختلاف أنواعه، ثمّ إلى أنواع الكلام الموزون غير المقفّى، ثمّ إلى أصناف الكلام المعدّل المسجّع، ثمّ إلى معدّل موزون غير مسجّع، ثمّ إلى ما يرسل إرسالا، فتطلب فيه الإصابة والإفادة، وإفهام المعاني المعترضة على وجه بديع، ترتيب لطيف، وإن لم يكن معتدلا في وزنه، وذلك شبيه بجملة الكلام الذي لا يتعمّل فيه، ولا يتصنّع له. وقد علمنا أنّ القرآن خارج عن هذه الوجوه، ومباين لهذه الطّرق.»[36] فعلى الرّغم من اشتمال أنواع الكلام الأخرى على عنصري الإفادة والقصد وهما بعدان تداوليان حجاجيان حيث لا يتحقّق الإنجاز ولا التّأثير مهما اختلفت أشكالهما (إمتاع، إقناع...الخ) إلّا بتحقّق الإفادة والقصد في الخطاب، إلّا أنّ القرآن الكريم يمتاز على هذه الأنواع ولا يطابقها وينفرد عنها في إعجازه.

الوجـــــــه الثّاني:

منها ما يرجع إلى الفصاحة، ذلك «أنّه ليس للعرب كلام مشتمل على هذه الفصاحة والغرابة، والتّصرف البديع، والمعاني اللّطيفة، والفوائد الغزيرة، والحكم الكثيرة، والتّناسب في البلاغة، والتّشابه في البراعة، على هذا الطّول، وعلى هذا القدر. وإنّما تنسب إلى حكيمهم كلمات معدودة وألفاظ قليلة، وإلى شاعرهم قصائد محصورة... وقد حصل القرآن على كثرته وطوله متناسبا في الفصاحة، على ما وصفه الله تعالى به، فقال عزّ من قائل: ﴿**اللهُ نزَّل أحْسنَ الحَديث كتاباً مُتشابهاً مثاني تقْشعِرُّ منْهُ جلودُ الّذين يخْشَونَ ربّهم، ثمّ تلينُ جلودُهم وَقلوبُهم إلى ذِكْر الله**﴾[37] وقوله: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾[38] فأخبر سبحانه أنّ كلام الآدمي إن امتدّ وقع فيه التّفاوت، وبان عليه الاختلاف.»[39]

والفصاحة باب واسع وقد تأتي مرادفة للبلاغة وفي هذا الشّأن يرى «الجاحظ» «أنّ بعضهم قال: لا يكون الكلام يستحقّ اسم البلاغة حتّى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك.»[40] ويرى أنّ الألفاظ جديرة بالرّعاية والاهتمام. يقول: «وقد يستخفّ النّاس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحقّ بذلك منها، ألا ترى أنّ الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلّا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظّاهر. والنّاس لا يذكرون السّغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسّلامة، وكذلك ذكر المطر، لأنّك لا تجد القرآن يلفظ به إلّا في موضع الانتقام. والعامّة وأكثر الخاصّة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث، ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنّه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سماوات لم يقل الأرضين. ألا تراه لا يجمع الأرض أرَضين ولا السّمع أسماعا. والجاري على أفواه

العامّة غير ذلك، لا يتفقّدون من الألفاظ ما هو أحقّ بالذّكر وأولى بالاستعمال.»[41] ثمّ إنّ تأكيد «الجاحظ» على المعنى في القول الأوّل فيه قيمة حجاجيّة تداوليّة تكمن في تمكينه من قلب السّامع أو القارئ بشكل يجعله يذعن إلى ما يلقى إليه ومن ثمّ تظهر آثار هذا الإذعان في أشكال مختلفة، كأن يعترض أو يتغيّر موقفه أو يقتنع أو يُستمال...الخ إلّا أنّ قيمة اللّفظ في تحقيق الفصاحة لا تقلّ عن قيمة المعنى وهو ما يتأكّد في مطابقة ألفاظ القرآن لمواضعها مطابقة دقيقة، رشّحته لأن تكون فصاحته غير فصاحة أنواع الكلام الأخرى. ومطابقة الألفاظ للمعاني مظهر من مظاهر الفصاحة ومن ثمّ مظهر من مظاهر الاحتجاج التّداولي في القرآن الكريم.

الوجه الثّالـــــث:

منها ما يرجع إلى ما هو عجيب النّظم، وبديع التّأليف «وهو أنّ عجيب نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين، على ما يتصرّف إليه من الوجوه التي يتصرّف فيها: من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج، وحكم وأحكام، وإعذار وإنذار، ووعد ووعيد، وتبشير وتخويف، وأوصاف، وتعليم أخلاق كريمة، وشيم رفيعة، وسير مأثورة. وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها. ونجد كلام البليغ الكامل، والشّاعر المفلق، والخطيب المصقع - يختلف على حسب اختلاف هذه الأمور.»[42] والنّظم أيضا باب واسع من أبواب البلاغة العربيّة ويظهر بعده الحجاجي التّداولي فيما ذكره «الجرجاني» «أن ليست المزيّة بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثمّ بحسب موقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض.»[43]

ثمّ يضيف «الجرجاني» في رسالته الشّافية في وجوه الإعجاز «أنّ لكلّ نوع من المعنى نوعا من اللّفظ هو به أخصّ وأولى، وضروبا من العبارة هو بتأديته أقوم، وهو فيه أجلى، ومأخذا إذا أُخذ منه كان إلى الفهم أقرب، وبالقبول أخلق، وكان السّمع لها أوعى، والنّفس إليه أميل. وإذا كان الشّيء متعلّقا بغيره ومقيسا على ما سواه، كان من خير ما يستعان به على تقريبه من الأفهام، وتقريره في النّفوس، أن يوضع له مثال يكشف عن وجهه ويُؤنس به، ويكون زماما عليـــه يمسكه على المتفهّم له والطّالب علمَه.»[44] غير أنّ ما ينماز به نظم القرآن أن لا اختلاف فيه ولا تفاوت.

الوجـــــه الرّابع:

منها ما يرجع إلى «كلام الفصحاء الذي يتفاوت تفاوتا بيّنا في الفصل والوصل، والعلوّ والنّزول، والتّقريب والتّبعيد، وغير ذلك ممّا ينقسم إليه الخطاب عند النّظم، ويتصرّف فيه القول عند الضمّ والجمع. ألا ترى أنّ كثيرا من الشّعراء قد وصف بالنّقص عند التنقّل من معنى إلى غيره والخروج من باب إلى سواه...ونبيّن أنّ القرآن على اختلاف

فنونه وما يتصرّف فيه من الوجوه الكثيرة والطّرق المختلفة يجعل المختلف كالمؤتلف، والمتباين كالمتناسب، والمتنافر في الأفراد إلى حدّ الآحاد. وهذا أمر عجيب، تبيّن به الفصاحة، وتظهر به البلاغة، ويخرج معه الكلام عن حدّ العادة، ويتجاوز العرف.»[45] فمثلا عند ذكره لقوله تعالى: ﴿**فالِقِ الإصْباحِ وجعَل اللّيْل سَكناً والشّمْسَ والقَمرَ حسباناً ذلك تقْديرُ العَزيزِ العَليم**﴾[46] «أليس كلّ كلمة منها في نفسها غرّة فإذا ألفت ازدادت حسنا.»[47] لذلك يدعو «الباقلاني» إلى التأمّل في هذه الآية الكريمة، ثمّ يقول: «انظر إلى هذه الكلمات الأربع، وهي مقاطع الآية من: فالق الإصباح، وجعل اللّيل سكنا، والشّمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم وجعل منها حجّة على ظهور قدرته، ونفاذ أمره، في جمع السّلاسة إلى الرّصانة، والسّلامة إلى المتانة، والإكثار من الإطناب غير الممل، ومن الإنجاز غير المخلّ.»[48]

الوجـــــه الخامس:

وهو «أنّ نظم القرآن وقع موقعا في البلاغة يخرج عن عادة كلام الجنّ، كما يخرج عن عادة كلام الإنس.»[49] ويستشهد «الباقلاني» لتأكيد هذا الوجه بقوله تعالى: ﴿**قُلْ لئنْ اجْتمَعتْ الإنْسُ والجنّ على يأْتوا بمِثْل هذا القُرآنِ لا يأْتونَ بمِثْله ولوْ كان بعْضُهم لبعْضٍ ظهيراً**﴾[50] فالاستراتيجية الحجاجيّة التي اعتمدها «الباقلّاني» في هذا الوجه هي استراتيجيّة الاستدلال حيث استدلّ بالآية العظيمة ليبيّن أنّ نظم القرآن منزّه عن كلام الجنّ والبشر على السّواء. ومن هنا لا نعجب عندما تحدّى البشر على أن يأتوا بســـــورة بل بآية من مثله، وعجزهم عن ذلك ما هو إلّا حجّة قويّة على تنزّهه عن كلامهـــــم.

الوجـــــــه السّادس:

وهو «أنّ الذي ينقسم عليه الخطاب، من البسط والاقتصار، والجمع والتّفريق، والاستعارة والتّصريح، والتجوّز والتّحقيق، ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم – موجودة في القرآن. وكلّ ذلك ممّا يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم، في الفصاحة/ والإبداع والبلاغة.»[51] أي أنّ هذه المظاهر الأسلوبية المذكورة في هذا الوجه يشتمل عليها القرآن كما يشتمل عليها كلام البشر، إلّا أنّ وجه فصاحتها وقدرتها الإبداعية في القرآن أقوى بشكل يعجز البشر، ولعلّ هذا ما يرفع درجة الحجاجيّة الأسلوبيّة في القرآن ويزيد من حدّة الإذعان والإقناع لدى المتلقّي. ومن مظاهر الحجاجيّة الأسلوبيّة جودة السّبك واتّساق المعنى ومطابقته لمقتضى الحال، ورونق الأسلوب وبهاء المعنى الذي جاء وفقه، ومهما بدا لك أنّه بإمكانك أن تضاهيه إلّا أنّه بعيد عنك. وهذا من أوجه إعجازه وحجاجيّته.

الوجـــه السّابع:

وهو «أنّ المعاني التي تضمّنها في أصل وضع الشّريعة والأحكام، والاحتجاجات في أصل الدّين، والردّ على الملحدين، على تلك الألفاظ البديعة، وموافقة بعضها بعضا في اللّطف والبراعة، ممّا يتعذّر على البشر ويمتنع.»[52] فمثلما تبيّنت حجاجيّة النّظم في القرآن الكريم وتآلف التّراكيب مع بعضها البعض بشكل يجذب الانتباه ويسوق إلى الإقناع، فإنّه يمكن الحديث عن حجاجيّة البنى المفردة في القرآن الكريم إذ يرى «الباقلاني» أنّ للألفاظ في ذاتها فصاحة وبراعة في مناسبة المعنى دون زيادة أو نقصان، بشكل لا يدع مجالا للمتلقّي إلّا مجال الإقتناع والقبول بما يلقى عليه.

تبعا لهذا تنوّع استعمال بعض المفردات فيه تبعا لاختلاف مقام استعمالها وأحوال ذلك، كاستعمال كلمة الغيث في مقام وكلمة المطر في مقام مختلف، وكذلك النّار وجهنّم، ووغير ذلك، فاستعمال المفردة بدقّة وفق معناها الحقيقي ومقامها الأمثل ما يزيد من وقع الخطاب وتأكيده.

الوجـــــه الثّامن:

ومنها «ما يرجع إلى الكلام، وتبيّن فضله ورجحان فصاحته، بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام، أو تقذف ما بين شعر، فتأخذها الأسماع، وتتشوّق إليها النّفوس، ويرى وجه رونقها باديا غامرا سائر ما تُقرَنُ به، كالدرّة التي ترى في سلك من خرز، وكالياقوتة في واسطة العقد.»[53] وفي هذا الوجه إشارة إلى حجاجيّة الاقتباس وما لا من أبعاد بلاغيّة وتداوليّة، فالكلمة من القرآن الكريم إذا بثّت في تضاعيف الكلام وخلاله زادته قوّة وإيحاء وبدّت كاليتيمة العصماء في العقد الفريد.

ومن هنا لا نعجب اقتباس الخطباء من آي القرآن العظيم ومفرداته، إذا كان ذلك يجعل من كلامهم كالدّرر النّفيسة التي يعجب بها سامعها وينشرح لها صدره، ويتأثّر بمعانيها قلبا وعقلا.

الوجـــــه التّاسع:

وهو «أنّ الحروف التي بني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفا، وعدد السّور التي افتتح فيها بذكر الحروف ثمان وعشرون سورة. وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السّور من حروف المعجم نصف الجملة، وهو أربعة عشر حرفا، ليدلّ بالمذكور على غيره، وليعرفوا أنّ هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم»[54] وهذه الحروف في العربيّة تنقسم وتختلف صفاتها فمنها: المهموسة والمجهورة. وفي هذا التّقسيم والتّوصيف أبعاد حجاجيّة وتداوليّة تتجلّى في استخدام

كلّ حرف بصفاته وخصائصه وفق المقام المناسب. «وإذا كان القوم - من الذين قسّموا في الحروف هذه الأقسام لأغراض لهم في ترتيب العربيّة، وتنزيلها بعد الزّمان الطّويل من عهد النبيّ صلّى الله عليه وسلّم - رأوا مباني اللّسان على هذه الجهة، وقد نبّه بما ذكر في أوائل السّور على ما لم يذكر، على حدّ التّنصيف الذي وصفنا – دلّ على أنّ وقوعها الموقع الذي يقع التّواضع عليه – بعد العهد الطّويل – لا يجوز أن يقع إلّا من الله عزّ وجلّ، لأنّ ذلك يجري مجرى علم الغيوب.»[55]

الوجه العاشر الأخير:

وهو «أنّه سهّل سبيله، فهو خارج عن الوحشيّ المستكره، والغريب المستنكر، وعن الصّنعة المتكلّفة. وجعله قريبا إلى الأفهام، يبادر معناه لفظَه إلى القلب، ويسابق المغزى منه عبارتَه إلى النّفس. وهو مع ذلك ممتنع المطلَب، عسير المتناول، غير مطمِع مع قربه في نفسه، ولا موهِمٍ مع دنوّه في موقعه أن يُقْدَر عليه، أو يُظفر به.»[56] فمن الأبعاد الحجاجيّة التّداولية التي انطوى عليها هذا الوجه بعده عن حوشيّ اللّفظ وغريبه، وخروجه عن الصّنعة والتكلّف الذي من شأنه أن ينفّر الأسماع ويقذي الأعين، وكلّما كان اللّفظ مألوفا مستحبا كان مستساغا في الأفهام وقريبا إلى القلب وأدعى إلى التّأثير في النّفس.

6. الخاتمـــــة:

إنّ من جملة النّتائج التي أسفر عنها هذا البحث:

- أنّ هناك تداخلا كبيراً بين الحجاج والتّداوليّة لدرجة يصعب التّمييز بين اتّجاههما، فالحّجاج من جهته يسعى إلى التّأثير في المتلقي بوجه من الأوجه كالسّعي إلى إبلاغه أو إقناعه أو إمتاعه أو التّغيير من موقفه أو رأيه أو سلوكه. والتّداوليّة من جهتها اعتبرت التّأثير فعلا من أفعال الكلام من خلال ما يبديه المتلقي من ردّة فعل.

- نتج لدينا حجاج تداولي يزاوج بين استراتيجيات الحجاج وآليات التّداولية بغية تحديد مقاصد الخطاب وأثره على المتلقي مع العناية بمختلف الظّروف والملابسات المحيطة بعملية إنتاج الخطاب واستعماله.

- من جملة ما توصّلنا إليه من نتائج أيضا، أنّ الحجاج صار في الدّراسات اللّغوية والبلاغيّة الحديثة أوسع مجالا، لا يقتصر دوره على التّوظيف الانتقائي باعتباره عنصرا خارجيّا ثانويّا يوظّف فقط في مواقف تواصليّة معيّنة، بل تحوّل مع تيّار التّداولية المدمجة في الدّراسات اللّسانية إلى عنصر كامن في اللّغة إن من حيث بنيته أو من حيث وظيفته، وبهذا يصير الحّجاج فعلا كلاميا، تجب دراسته في نطاق اللّغة لا في البحث

عمّا هو واقع خارجها، وهذا ما يدعو إلى اعتبار اللّغة مسرحا للمحاورة والتّحاج بين الذّوات المتواصلة، وتنحصر وظيفة اللّغة في دلالة الأقوال على التّوجيهات الحجاجية النّاتجة عنها[57] وفي ما يلي مقاربة بين تقسيمات (سيرل) للأفعال الكلامية وما يقابلها في الحجاج: [58]

أقسام الفعل الكلامي:	مجال الحجـــــــــاج:
- الفعل النّطـــــقي ←	ما يتلفّظ به المتكلم المحاجج
- الفعل القـــــضوي ←	دعوى ونتيجـــــة الحجاج
- الفعل الإنجـــازي ←	ردود أفعـــــــال المتلقي
- الفعل التّأثيـــــري ←	أثر الحجـاج في واقع المتلقي

- تتجسّد بنية الحجاج Argument structure في شكل فعل كلامي مؤلّف من الفعل النّطقي/اللّفظي الصادر عن المتكلّم المحاجج متمثّلا في هيئة صوتية تركيبية معجمية. وفعل قضوي يتمثّل في قصد المتكلّم المحاجج من ذلك الفعل النّطقي. وفعل إنجازي يتمثّل في ردود فعل المتلقي الممكنة والمحتملة اتجاه دعوى الحجاج. وفعل تأثيري يتمثّل في الأثر الذي يتركه الفعل الإنجازي في المتلقي وهو ما يظهر في واقعه الفعلي.

- لقد اعتمد الباقلاني في بيان إعجاز القرآن على الحجاج كآلية لإقناع سامعيه والتّأثير فيهم بشكل ما، تبعا لهذا عدّ الحجاج بمختلف آلياته واستراتيجياته وجها من أوجه الإعجاز في القرآن الكريم.

- يعدّ مبحث الحجاج من المباحث التي حظيت باهتمام الدّارسين العرب منذ القدم مها ما اختلفت توجّهاتهم أصوليين بلاغيين وفلاسفة. نظرا لأنّه جزء من اللّغة وآلية يستحضرها المتكلّم إذا أراد لكلامه أن يكون مؤثّرا ومقنعا.

- في العصر الحديث أصبح الحجاج مبحثا قائما بذاته له أصوله ومرجعيّاته وآلياته ووسائله، واختلفت اتّجاهات الدّارسين في حقله ما بين الاتّجاه المنطقي، اللّغوي، التّداولي...الخ.

- يتقاطع الحجاج مع كثير من الحقول المعرفيّة والمجالات العلميّة، الأمر الذي وسّع مجال البحث والدّراسة فيه.

الهوامـــــش:

(1) ابن منظور محمّد بن مكرم، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مصر، تح: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، 1401هـ – 1981م، المجلّد الثّاني، الجزء: 10، مادة (حجج)، ص: 779.

(2) قادم أحمد، شعرية الإقناع في الخطـــاب النّقدي والبلاغي، المطبعة الوطنية الدّاوديات، المغـــــرب، ط1، 2009م، ص: 74.

(3) عبد الرحمن طه، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغـــــرب، ط1، 1998م، ص: 226.

(4) عبد الرحمن طه، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2000م، ص: 65.

(5) المرجع نفســـــــــــــــه، ص: 65.

(6) الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيّات الخطاب، مقاربة لغويّة تداوليّة، دار الكتاب الجديدة المتّحدة، بيروت، ط1، 2004م، ص: 456

(7) Philipe breton, L'argumentation dans la communication, La découverte, 3éd, 2003, Parie, P. 6.

(8) عبد الرحمن طه، اللّسان والميزان أو التكوثر العقلي، مرجع سابق، ص: 226.

(9) المرجع نفســـه، ص: 226.

(10) المرجع نفسه، ص: 228.

(11) الشهري عبد الهادي بن ظافر، استراتيجيّات الخطاب، مقاربة تداوليّة، دار الكتاب الجديد المتّحدة، بيروت – لبنان، ط1، 2004، ص:477.

(12) المرجع نفســـــــــــــــــــــــه، ص: 477.

(13) خطّابي مصطفى، لسانيات النّص، مدخل إلى انسجام النّص، دار المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، ط1، 1991، ص: 16 - 17.

(14) المرجع نفسه، ص: 22.

(15) المرجع نفسه، ص: 24.

(16) عبد الرحمن طه، في أصول الحـــوار وتجديد علم الكلام، مرجع سابق، ص: 140.

(17) الشهري عبد الهادي بن ظافـــــر، استراتيجيّات الخطاب، مرجع سابق، ص: 497.

(18) عبد الرحمن طه، في أصـــــول الحوار وتجديد علم الكلام، مرجع سابق، ص: 99.

(19) Perelman Chaim et Lucie Olbrechts-Tyteca , Traité de l'argumentation la nouvelle rhétorique, Bruxelles, Edition de l'Université de Bruxelles. 2009, p 535.

(20) ينظر: بارت رولان، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر: عمر أوكان، دار أفريقيا الشّرق، المغرب، ص: 23 – 24.

(21) الولي محمد، مدخل إلى الحّجاج أفلاطون وأرسطو وشايم بيرلمان، مجلة عالم الفكر،

المجلد 40، العدد 02، أكتوبر – ديسمبر 2011م، ص: 33.

(22) ديكرو أوزوالد، جان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللّسان، تر: منذر عيّاشي، المركـــز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط2، 2007م، ص: 163.

(23) «Nous nous proposons d'appler (persuasive) une argumentation qui ne prétend valoir que pour un auditoire particulier et d'appler (convaincante) celle qui est cencée obtenir l'adhésion de tout être de raison » Chaim Perelman et Lucie Olbrechts-Tyteca , Traité de l'argumentation la nouvelle rhétorique, Bruxelles, Edition de l'Université de Bruxelles. 2009. P. 36.

(24) صولة عبد الله، الحّجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، لبنان، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، تونس، منوبة، ط1، 2001م، ص: 29 – 30.

(25) العزّاوي أبو بكر، اللغـــــة والحّجاج، العمدة في الطبع، ط1، 1426ه/2006م، ص: 15.

(26) طروس محمد، النظرية الحّجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية، دار الثقافة، ط1، 2005م، ص: 106.

* ق1 و ق2 هي عبارة عن حجج وق1 تؤدي إلى ق2.

(27) «Décrire l'argumentation comme l'accomplissement de deux actes l'énonciation de l'argument d'une part, et d'autre par un acte d'inférer opéré lorsque l'on exprime ou sous-entend la conclusion. » J.c.anscomber et Oswald ducrot, L'argumentation dans la langue, 3 Eme Edition – Belgique- 1997, P. 11.

(28) المبخوت شكري، نظرية الحّجاج في اللغة، ضمن مؤلف: حمادي صمود، أهم نظريات الحّجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، جامعة الآداب والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس، دط، دت، ص: 252.

(29) الطلبة محمد سالم محمد الأمين، الحّجـاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص: 176.

(30) مدقن هاجر، آليات تشكل الخطاب الحّجاجي بين نظرية البيان ونظرية البرهان، مجلة الأثر، الجزائر، ع: 5، 2005م، ص: 173.

(31) الطلبة محمـد سالم محمد الأمين، الحّجاج في البلاغة المعاصرة، مرجع سابق، ص: 176.

(32) مصباحي عبد العزيز، الحّجاج والوظائف التّداولية، مجلّة علوم اللّغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، مج: 08، ع: 10، ديسمبر 2016م، ص: 200.

(33) الباقلاني أبو بكر، إعجاز القرآن، تح: السيّد أحمد صقر دار المعارف، مصر، ط5، 1997م، ص: 33.

(34) المصدر نفسه، ص: 35.

(35) المصدر نفسه، ص: 35.

(36) المصدر نفسه، ص: 35.

(37) سـورة الزّمر، الآية: 23.

(38) سورة النّساء، الآية: 82.
(39) الباقلاني أبو بكر، إعجاز القـــــــــرآن، مصدر سابق، ص: 36.
(40) الجاحظ أبو عثمان، البيان والتّبيين، ج1، مصدر سابق، ص: 115.
(41) المصدر نفســـــــــــــــــــــــــه، ص: 20.
(42) الباقلاني أبو بكر، إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص: 36.
(43) الجرجاني عبد القاهر، دلائل الإعجاز، قر وتع: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط5، 2004م ، ص : 87.
(44) الجرجاني عبد القاهر، الرّسالة الشّافيـــــــة في وجوه الإعجاز. في ذيل دلائل الإعجاز، ص: 575.
(45) الباقلاني أبو بكر، إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص: 38.
(46) سورة الأنعام، الآية: 96.
(47) الباقلاني أبو بكر، إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص: 38.
(48) الدبّاغ مصطفى، وجوه من الإعجـــــــاز القرآني، مكتبة المنار الزّرقاء، الأردن، ط1، 1982م، ص: 18.
(49) الباقلاني أبو بكر، إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص: 38.
(50) سورة الإســـــــــــــــــــــــــراء، الآية: 88.
(51) الباقلاني أبو بكر، إعجاز القرآن، مصدر سابق، ص: 42.
(52) المصدر نفسه، ص: 42.
(53) المصدر نفسه، ص: 42.
(54) المصدر نفسه، ص: 42.
(55) المصدر نفسه، ص: 45.
(56) المصدر نفسه، ص: 46.
(57) الرقبي رضوان، الاستدلال الحجاجي التّداولي وآليات اشتغاله، (مقال) مجلّة عالم الفكر، مج: 40، ع: 02، أكتوبر – ديسمبر، 2011، ص: 70.
(58) جودي حمدي منصور، بين تداولية الأفعال الكلامية والحجاج (مقاربة مفاهيمية)، حوليات المخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع : 01، ديسمبر 2013، ص: 75 .